

تورة التعلم



الجزء الأول

كيف تطور النعل السريع؟ القصة المختصرة لنشأة النعل السريع

التعلم السريع

ممارسة أثبت الزمن جدارتها



بما أن التعلم السريع هو تعلم "طبيعي"، فإن جذوره تعود إلى تقاليد التعليم القديمة. التعلم السريع هو ببساطة الطريقة التي يتعلم بها أي طفل منذ ولادته. ولكن إذا أردنا الحديث عن ثورة التعلم السريع الحديثة، وخصوصاً فيما يتعلق بالتعلم كمهنة ذات هيكلية وبالعالم التدريب في الثقافة الغربية، يمكن القول أن التعلم السريع بزغ في النصف الثاني من القرن العشرين، مستقياً بداياته من مجموعة من التجارب التي حصلت خلال هذه السنوات الخمسين.

لوزانوف والتعلم السريع

ظهر في العام 1970 كتاب "التعلم الخارق". ناقش هذا الكتاب الدراسة التي قام بها عالم النفس البلغاري جورجي لوزانوف. كان هذا الكتاب موضع اهتمام الكثير من المربين والعاملين في مجال التدريب، الباحثين عن طرق أكثر فعالية في التعليم.

قام لوزانوف باستخدام مقارنة مختلفة للتعامل مع مرضاه النفسيين. قام باستخدام موسيقى الباروك لتهدئة أعصابهم أثناء وجودهم في مكتبه، وشارك ذلك مع تقديم أفكار إيجابية عن شفائهم. لقد نجحت هذه الإجراءات البسيطة في تسهيل حدوث



¹ Super Learning, by Lynn Schroeder and Sheila Ostrander.

تقدّم ملحوظ في حالة الكثيرين منهم. قال لوزانوف أنه قد تمكّن من الوصول إلى شيء ما في عمق العقل لا يصل إليه الإدراك والوعي البسيط. سمى لوزانوف هذه الفكرة "باحثياطي الدماغ المخفي".

شعر لوزانوف أن بإمكانه استخدام هذه المقاربة في التعليم أيضاً، فقام بدعم من الحكومة البلغارية بإجراء بحث حول تأثير الموسيقى والأفكار الإيجابية على التعليم مُستخدماً تعلّم لغة أجنبية كمثال. خَلُصَت تلك الدراسة إلى أن استخدام مزيج متقن من الموسيقى والأفكار الإيجابية والألعاب التي تشبه إلى حد ما لعب الأطفال قد سَرَّع عملية التعلّم إلى درجة كبيرة وزاد الناتج العام بشكل ملحوظ. لقد أوقدت نتائج هذا البحث مخيّلة مُدرسي اللغة والكثير من مُحترفي التعليم خارج المدارس الرسمية في أنحاء العالم.

قام دون شستر من جامعة ولاية أيوا، وكل من راي بوردون وتشارلز غريتن خلال السبعينات بتطبيق هذه الأفكار على التعليم المدرسي والجامعي، وكانت النتائج إيجابية. بناء على ذلك، قام هؤلاء ومجموعة أخرى من العاملين في مجال التعليم بتأسيس ما سمي بجمعية التعليم والتعلّم المُتسارع (SALT)¹، والتي بدأت بعقد مؤتمرات سنوية في الولايات المتحدة جذبت إليها أساتذة جامعات ومدرسي مدارس ثانوية ومختلف مُحترفي التعليم من جميع أنحاء العالم. بلغ عمر هذه الجمعية الآن أكثر من خمس وعشرين سنة، وقد أعادت تسمية نفسها لتصبح: التحالف الدولي للتعلّم (IAL)² ولا تزال تقوم بعقد المؤتمرات في الولايات المتحدة والتي يشارك فيها محترفون من جميع أنحاء العالم.

هنالك جمعية مشابهة في بريطانيا تطلق على نفسها اسم جمعية التعلّم المؤثّر³ الفعّال (S.E.A.L.)، وفي ألمانيا شكّل بعض ممارسي التعلّم

¹ The Society for Accelerative Learning and Teaching

² The International Alliance for Learning

³ في أصل التسمية Affective، تفصّد الجمعية المؤثر عاطفياً بصورة خاصة.

(الترجم)

"السرّيع" ما أُطلق عليه اسم الجمعية الألمانية للتعلّم التجريبي (D.S.G.L).²

بعض الروافد الأخرى لتيار التعلّم السريّع

لعبت مجموعة كبيرة من الفلسفات والطرائق والتطبيقات دوراً في تطوّر فكرة التعلّم السريّع. فيما يلي بعض هذه العوامل ذات الأثر التاريخي في هذا المجال:

1. لقد نقض التطوّر المعرفي الحديث، وخصوصاً فيما يتعلق بالدماغ والتعلّم، الكثير من مُسلّمات أساليب التعليم القديمة. إذ ثبت خطأ النظرية القائلة أن التعلّم هو مجرد عملية شفهيّة و"معرفيّة" وتحتاج جهداً عقلياً بحثاً. وضّحت الدراسات الحديثة أن التعلّم يشمل حتى المشاعر، ويحتاج جهداً شاملاً لكامل الجسد والحواس وأبعاد الشخصية، وهو ما كان لوزانوف قد سماه "احتياطي الدماغ المخفي".
2. أثبتت أبحاث التعلّم الحديثة استحالة وجود نموذج تعليمي واحد قابل للتطبيق في كل الحالات. يختلف الناس في طريقة استجاباتهم للتعليم، وبالتالي لا بد من تنوع وسائل التعليم ومقارباته، وهو ما يُمثّل التحدي الأكبر أمام هيكلية التعليم القديمة القائمة على الترتيب والخطط المسبقة.
3. لقد أعطانا صعود فيزياء الكم وانهار مبدأ نيوتن في فهم الأحداث الطبيعيّة كسلسلة رتبية خاضعة لقوانين خطيّة قبولاً أكبر لمبدأ الترابط بين مجريات الأحداث والطبيعة الإبداعية الحيّة غير الخطيّة وغير الميكانيكية للوجود. إن التركيز على "الحيويّة" هو من أهم مبادئ التعلّم السريّع.
4. إن التطوّر المتدرج (وإن لم يبلغ مبتغاه بعد) من ثقافة ذكورية إلى ثقافة أكثر تشاركية وتوازناً قد فتح الباب أمام مُقاربة أقرب إلى اللطف والعمل المشترك للتعليم.

5. فتح تراجع السلوكية كسيكولوجية وحيدة الباب أمام نظرة أكثر إنسانية وأكثر كُلية في فهم التعليم وممارسته.
6. حافظت بعض الحركات الموازية على حيوية بعض مقاربات التعليم الأخرى، فعلى سبيل المثال كان هنالك حركة المدرسة التقدمية (بدءاً من عشرينيات القرن الماضي)، وحركة التعليم المندمج (بدءاً من أربعينيات القرن الماضي)، وحركة التعليم الإنساني (بدءاً من خمسينيات القرن الماضي)، وحركة المدرسة الحرّة (ستينيات القرن الماضي). كان هنالك أيضاً مدرسة مونتسوري التي أسَّستها ماري مونتسوري، ومدرسة والدروف التي أسَّسها رودلف ستينر، وأيضاً حركة مدرسة سمرهيل في بريطانيا والتي لعب الدور الأكبر فيها ألكسندر سثرلانديل.
7. إن الطبيعة الديناميكية دائمة التغيّر لبيئة العمل وثقافتها تثبت يوماً بعد يوم شلل طرق التعليم التقليدية التي نتبّعها اليوم، وتثبت أهمية الوصول إلى مقاربات أحدث وأكثر فعالية .

نمو التعلّم السريع في المؤسسات

في العام 1986، قامت ماري جين غيل، مديرة تدريب في شركة بيل أتلانتيك، بحضور ورشة عمل حول التعلّم السريع في ويسكونسن قام بها مركز التعلّم السريع. عندما عادت من هذه الورشة، قامت ماري جين بإعادة كتابة أحد أقدم الدورات التدريبية في شركة بيل أتلانتيك، وهي دورة تعنى بتدريب ممثلي خدمات المشتركين، لإنتاج نسخة حديثة من هذه الدورة باستخدام التعلّم السريع. كانت النتائج دراماتيكية: تم تقليص زمن التدريب إلى النصف، وتم تحسين الناتج بشكل واضح وقابل للقياس.

بعد هذا النجاح، قمنا معاً، ماري جين وأنا، بكتابة مقال مشترك بعنوان "انطلاقة التعلّم السريع في بيل أتلانتيك" وقمنا بنشرها في مجلة الجمعية الأمريكية للتدريب والتطوير في كانون الثاني (يناير)

من العام 1989. كانت هذه انطلاقة حقيقية، حيث أن كل شركات الهاتف في الولايات المتحدة طبقت تقنيات التعلم السريع لتدريب موظفي خدمات المشتركين وحصلت على نتائج إيجابية. دخلت شركات أخرى هذا الميدان أيضاً، وبالرغم من أن التعلم السريع لم يصبح الطريقة الرسمية للتدريب، إلا أنه دخل إلى عالم التدريب كخيار بديل أثبت فعّاليته مرة بعد مرة في مختلف مجالات التدريب في عالم المؤسسات.

ويستمر في التطور

كما هو الحال في كل مرة تظهر فيها حركة خارجة عن المألوف، عانت هذه الحركة الوليدة من بعض البدايات الخاطئة هنا أو هناك، حيث أُسيء فهم التعلم السريع واعتُقد أنه عبارة عن ألعاب ظريفة وحيل ذكية لا أكثر، دون فهم عميق لمبادئه أو تطبيق لها. في أحيان أخرى، مرّ على التجربة بعض الدخلاء ممن اهتموا بجمع الأموال أكثر من اهتمامهم بتحقيق التغيير المطلوب، وقد أساء هؤلاء لسمعة التعلم السريع. من جهة أخرى، وكما دائماً، كان هنالك المقاومة الدائمة الملتصقة بكل قديم وتقليدي، وقد حارب هذا الاتجاه، كحالها دائماً، كل خطوة نحو تأسيس أسلوب جديد في التعليم، بغرض العودة للقديم المريح، وإن كان قاتلاً للإبداع.

ولكن، وبالرغم من كل ذلك، استطاعت حركة التعلم السريع النجاة والتطور، ودخلت قلوب وعقول الكثيرين من المجربين والمدربين الذين استطاعوا التناغم مع إيقاعها الكليّ والإنساني الايجابي الذي يتمحور حول الروح. هؤلاء المدربين والمدربون هم من نجح في إحداث التغيير.

لحين كتابة هذه السطور، كانت مئات المؤسسات التدريبية قد اعتمدت تدريس فلسفة وتقنيات التعلم السريع، والكثير من الشركات والمؤسسات قد قرّرت إتباع هذا المبدأ في تدريب عناصرها. أكثر من ذلك، قررت بعض المؤسسات التعليمية

والجامعات إتباع التعلُّم السريع أيضاً في مناهجها، وهو ما كان نقطة هامة في تاريخ التعلُّم السريع. وبسبب القيمة التي يُضيفها التعلُّم السريع إلى الأفراد والمؤسسات، أخذ عدد مُمارسي التعلُّم السريع في الازدياد، سواء في الولايات المتحدة أو كندا أو سائر أنحاء العالم.

صناعة التاريخ

إن كتابة التاريخ المُفصَّل للتعلُّم السريع، وذكر كافة الأشخاص الذين ساهموا ولا زالوا يساهمون في تنميته وتطوره في المؤسسات الاقتصادية والتعليمية كقيلٍ بملءِ هذا الكتاب، ولذلك فإننا سنستغني عن هذه التفاصيل على أهميتها وندخل مباشرة في صلب الموضوع، لُنساعدك على أن تكون واحداً من هؤلاء الذين يصنعون تاريخ التعلُّم السريع. مرحباً!

المبادئ الأساسية للتعلم السريع

إنه لمن الأساسي الوصول إلى فهم عميق لمبادئ التعلم السريع الأساسية، لأن فصل تقنيات التعلم السريع عن مبادئه الأساسية، واختصاره من فلسفة في التعلم إلى مجرد حيل ذكية وألعاب ممتعة سوف يؤدي بدون أدنى شك إلى الفشل.



يعتمد التعلم السريع على المبادئ الهامة التالية:

1. يعتمد التعلم على العقل والجسد بكليتهما: ليس التعلم مجرد مسألة عقلية بحتة، أي أنه لا يرتبط فقط بالإدراك والمنطق واللفظ، أي الجزء الأيسر من الدماغ. لا بد للتعلم أن يَمُرَّ على كُليّة العقل والجسد، بما يشمل أيضاً العواطف والأحاسيس.
2. إن التعلم هو عملية خلق للمعرفة، وليس استهلاكاً لها: يتحقق التعلم عندما يتمكن المتعلم من مُكاملة المعرفة الجديدة مع ذاته. إن التعلم والحالة هذه هو عملية "خلق" لفهم جديد، لانطباع جديد، لِعانٍ جديدة، لنشاط عصبي وشبكات عصبية جديدة ضمن النظام العقلي الجسدي للمتعلم.
3. التعاون يساعد في التعلم: إن كل أشكال التعلم الناجحة لها أُسسها الاجتماعية. غالباً ما يكون التعلم من الأقران أكثر جدوى من التعلم بأي وسيلة أخرى. من المهم ملاحظة أن التنافس بين المتعلمين يبطئ عملية التعلم، بينما يُسرِّع التعاون بينهم من هذه العملية. بالتحصيل: يؤدي وجود مجتمع تعليمي إلى نتائج أكثر إيجابية من التعلم على شكل أفراد مستقلين.

4. يحدث التعلُّم في مستويات عدة في الوقت ذاته: ليس التعلُّم عبارة عن امتصاص أجزاء من المعرفة على التتابع وبشكل خطي، بل هو عملية احتواء مجموعة من الأشياء دفعة واحدة. فالتعلُّم الناجح هو الذي يُدخل المتعلِّمين في عملية التعلُّم على عدة مستويات من ذواتهم دفعة واحدة، المستويات الواعية وغير الواعية، العقلية والجسدية، وصولاً إلى نظامهم العقلي الجسدي عبر كل الحواس والمستقبلات والطرق التي يمكن أن يعبرها. إن الدماغ في نهاية المطاف ليس مُعالجاً تتابعياً خطياً، بل هو مُعالج مُتعدّد المسارات، ويزداد تطوُّراً كلما كبر التحدي لفعل أشياء أكثر دفعة واحدة.

5. يأتي التعلُّم من "ممارسة" المادة عملياً (مع وجود تغذية راجعة): يتعلَّم الناس بشكل أفضل إذا أتت المادة التعليمية في سياقها، في حين أن المواد التي يتم تعلُّمها بمعزل عن سياقها الحقيقي غالباً ما تكون سريعة التبخر من الدماغ. إن أفضل وسيلة لتعلُّم السباحة هي السباحة، وأفضل وسيلة لتعلُّم الغناء هي الغناء. ومن جهة أخرى، فإن أفضل وسيلة لتعلُّم الإدارة هي ممارسة الإدارة، وأفضل وسيلة لتعلُّم البيع هي العمل في المبيعات. بالمحصلة فإن الحقيقي والملموس أكثر فعاليةً في التعليم من المُفترض والمُجرد. كل هذا بشرط وجود وقتٍ كافٍ للممارسة العملية، التغذية الراجعة، المراجعة، ومن ثم الممارسة مرة أخرى.

6. تحسِّن المشاعر الإيجابية التعلُّم بشكل كبير: تحدد المشاعر كميّة ونوعيّة التعلُّم الذي يمكن للشخص إنجازه. تثبط المشاعر السلبية التعلُّم، بينما تسرِّعه المشاعر الإيجابية. لا يمكن لعملية التعلُّم التي تُولّد الضغط والخوف أن تنجز من التعليم قدر ما تنجزه عملية تعليمية مرحة ومريحة وتفتح باب المشاركة للجميع.

7. يمتص الدماغ الصُّوري المعلومات أنياً وأتوماتيكياً: إن للدماغ البشري قدرة أكبر على مُعالجة الصور من مُعالجة الكلمات. وفقاً لذلك، ستسهّل ترجمة الكلمات إلى صور من عملية التعلُّم وتجعل من المعرفة أكثر سهولة للتذكُّر.

